السيدة مارية القبطية رضي الله عنها

هل أتاك حديث المبرأة الثانية من النساء، التي جاءَت براءتها على لسان «جبريل» كبير الأمناء؟ إنها «مارية» أم إبراهيم، السُّرِّية الأثيرة لرسول الله ﷺ.

في السنة السابعة للهجرة، بعث رسول الله ﷺ عدداً من الرسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكان «حاطب بن أبي بلتعة» حامل رسالته إلى «المقوقس صاحب الإسكندرية» وعظيم القبط، فَلما أُدْخِلَ «حاطب» عليه، أكرمه وأحسن مثواه، بيد أنه لم يستجب لدعوة النبي ﷺ له إلى الإسلام، ولما انتهى اللقاء حمَّله بعض الهدايا إلى رسول الله ﷺ، وقد ذكر «ابن طولون» في إعلام السائلين[1]، نص كتاب النبي ﷺ، إلى «المقوقس» كما هو آت: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، من «محمد بن عبد الله» إلى «المقوقس» عظيم القبط، سلام على من اتَّبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]، وختم الكتاب.

فخرج به «حاطب» حتى قدم الإسكندرية، فانتهى إلى حاجبه، فلم يلبث أن أوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ.

وقال «حاطب» للمقوقس لما لقيه: إنه قد كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك، قال: هات، قال: إن لنا ديناً لن ندعه إلَّا لما هو خير منه.

---

(1) إعلام السائلين (ص81).

فقال «حاطب» بن أبي بلتعة: ندعوك إلى دين الله، وهو الإسلام الكافي به فقد ما سواه، إن هذا النبي ﷺ دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى، إلَّا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن، إلَّا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا بالكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتُب بالعربية، فكتب إلى النبي ﷺ

بسم الله الرحمٰن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد:

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك.

ولم يزد على هذا، ولم يُسْلِمْ، والجاريتان: «مارية» و«سيرين» والبغلة دلدل، بقيت إلى زمن «معاوية» رضي الله عنه وكانت شهباء، ولما ختم الكتاب، دفعه إلى «حاطب»، وأمر له بمائة دينار، وخمسة أثواب، وقال له:

ارجع إلى صاحبك، ولا تسمع منك القبط حرفاً واحداً، فإن القبط لا يطاوعون في اتباعه، وأنا أضِنُّ - أي: أبخل - بملكي أن أفارقه، وسيظهر صاحبك على البلاد، وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده، فارحل من عندي.

قال حاطب: فرحلت من عنده، ولم أقم عنده إلا خمسة أيام، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت له ما قال لي، فقال: (ضَنَّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه)]!. هـ.

قال أبو عمر بن عبد البر: روي أنه ﷺ قال: (إذا دخلتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً). فمن «مارية» هذه؟.

نسبها: كانت «مارية القبطية» إحدى سراري رسول الله ﷺ، والسُّرِّيَّة هي الجارية التي توطأ بملك اليمين، وكان والدها (شمعون» من أقباط مصر، وأمها من الروم، وقد حباها البارىء سبحانه وتعالى قسطاً وافراً من الجمال والملاحة، وقد احتفظ رسول الله ﷺ بمارية لنفسه، وأهدى أختها «سيرين» إلى شاعره «حسان بن ثابت» فولدت له ابنه «عبد الرحمٰن». وكان «حاطب» رضي الله عنه قد أحسن بها وبأختها «مارية» أيمَّا إحسان، فحين خرج بهما من مصر، قاصداً المدينة للقاء رسول الله ﷺ، عرض عليهما الإسلام، وبصَّرهما بمحاسنه وبما جاء به النبي ﷺ من عند ربه، فأسلمتا معاً قبل لقاء رسول الله ﷺ، وسماع كلمة واحدة منه، فقد أغناهما حديث «حاطب» وكان كافياً لإقناعهما للدخول في الدين الحنيف.

وأنزل رسول الله ﷺ «مارية» في مكان يسمى «العالية»، وكان يتردد عليها، وقد منحها من الحب والرعاية والعطف ما لا مطمح لامرأة وراءه، وربما كان يطيل المكوث عندها، الأمر الذي هَيَّج مشاعر الغيرة عند أزواجه منها، فأزْمَعْن الكيد لها.

ماذا أهدى المقوقس للنبي ﷺ: ذكر المحب الطبري في السمط الثمين، قال: [بعث «المقومس» صاحب الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة بـ «مارية» وبأختها «سيرين» وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً ليناً، وبغلته «الدلدل» وحماره «عفير» - ويقال: يعفور - ومعهم خصي يقال له: «مابور» ويقال له أيضاً: «مانوا» شيخ كبير، كان أخا «مارية»،

وبعث بذلك كله مع «حاطب بن أبي بلتعة»، فعرض «حاطب بن أبي بلتعة» على «مارية» الإسلام، ورغَّبها فيه، فأسلمت، وأسلمت أختها، وأقام الخصي على دينه، حتى أسلم بالمدينة بعد، في عهد رسول ﷺ]. ا هـ[1].

وذكر المحب أيضاً حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غِرْتُ على امرأة إلَّا دون ما غِرْتُ على «مارية»، وذلك أنها كانت جميلة من النساء، دَعْجَة، فأعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت «حارثة بن النعمان» وكانت جارتنا، وكان رسول الله ﷺ عامة النهار والليل عندها، فزعنا لها فجزعت، فحوَّلها إلى «العالية، وكان يختلف إليها هناك، وكان ذاك أشد علينا، ثم رزقه الله منها الولد، وحُرِمنا منه).

وقال أيضاً: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم، عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت أم إبراهيم سُرِّيَّة للنبي ﷺ في مشربتها).

ضيق عائشة وحفصة من تعلقه ﷺ بمارية: كانت «عائشة» و «حفصة» أكثر أمهات المؤمنين ضيقاً بمارية، وأعظمهن غيرة منها، وكانتا رضي الله عنهما متصادقتين، وذات يوم استأذنت «حفصة» رسول الله ﷺ في زيارتها أبيها «عمر» رضي الله عنه لبضعة أيام، فأذن لها، وأثناء غيابها، أتت «مارية» رسول الله ﷺ وهو في بيت «حفصة» فاستقبلها فيه، ولما انقلبت «حفصة» إلى بيتها، وجدت «مارية» مع النبي ﷺ، فأبت أن تدخل حتى تخرج «مارية» منه، فلما خرجت، راحت «حفصة» تبكي وتعاتب النبي ﷺ على استقباله «مارية» في بيتها، فأخذ ﷺ يُسَكِّنها ويسترضيها، ثم قال: (ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟) قالت: بلى، فحرَّمها واستكتَمها الأمر، إلَّا أنها أخبرت صديقتها «عائشة» رضي الله عنها. وقد أخرج المحب الطبري في «السمط الثمين»، فقال: [أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه عن يزيد بن أسلم: أن النبي ﷺ حَرَّم «أم إبراهيم، فقال: (هي عليَّ

(1) السمط الثمين (233-234).

حرام)، وقال: (والله، لا أقربها)، قال: فنزلت الآية: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [التحريم: 2].

قال محمد بن عمر: قال مالك بن أنس رضي الله عنه: (فالحرام حلال إلَّا إذا قال الرجل لجاريته: أنت عليَّ حرام فليس بشيء، وإذا قال: والله لا أقرب، فعليه الكفارة).

أخبرنا محمد بن عمر، حدثني أبو حاتم، عن جوبير، عن الضحاك: أنَّ رسول الله ﷺ حَرَّم جاريته، فأبى الله ذلك عليه، فردَّها عليه، وكَفَّر يمينه.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا معمر عن قتادة، قال: «حرَّمها تحريماً، وكانت يميناً».

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا الثوري، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، قال: آلَىٰ رسول الله ﷺ من أَمَتِهِ وحَرَّمها، فأنزل الله تعالى في الإيلاء: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [التحريم: 2]، وأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: 1] الآية، فالحرام حلال، يعني في الإماء].

حدثني سويد بن عبد العزيز عن إسحاق بن عبد الله بن أبي مَرْوة، عن القاسم بن محمد، قال: خلا رسول الله ﷺ بجاريته «مارية» في بيت «حفصة»، فخرج النبي ﷺ، وهي قاعدة على بابه، فقالت: يا رسول الله! أفي بيتي، وفي فراشي؟ فقال النبي ﷺ: (هي عليَّ حرام، فأمسكي عني)، قالت: لا أقبل دون أن تحلف لي، فقال: (والله، لا أمسها أبداً).

وكان «القاسم» يرى قوله: حرام، ليس بشيء][1] ا هـ.

البشرى السارة: أحست «مارية» رضي الله عنها بحركة خفيفة في أحشائها، وشعرت بغثيان ينتابها بين حين وآخر، وربما أخذ برأسها الدوار، إن هذه أمور جديدة لا عهد لها بها من قبل، إنها أمارات الحمل، ولما دخل عليها

(1) السمط الثمين (235-236).

الحبيب الأعظم ﷺ زفَّت إليه النبأ السعيد، فسُرَّ به أيَّما سرور، وازداد حبه لها، واشتد حَدَبُه عليها، ولكن أي صدًى خلَّفه هذا الخبر عند نساء النبي ﷺ؟.

إذا كان وجودها عند النبي ﷺ يسوؤهن وهي جارية، فكيف وهي ستغدو أم ولده؟ لا شك أن الاستياء سيزداد، ولهيب الغيرة سيستعر، بيد أن إمام المقسطين، وسيد العادلين كان يصرف لكل واحدة منهن حقها، ولا يفرط فيه مثقال حبة من خردل، وكان يكيل لمارية بالمكيال ذاته، فلا يطفِّف ولا يحيف، وكل تصرف من قبله عليه من الله رقيب، ولم يكن يبتغي فيه إلَّا رضاه، أحب الناسُ أم كرهوا، ورضوا أم كانوا ساخطين.

الإفك الجديد: ما كان المنافقون يكفون عن إشعال نار الفتن بين حين وآخر، فما إن تنطفىء واحدة حتى يسارعوا إلى إيقاد غيرها، وبعد أن دافع الله تعالى عن المؤمنة الصابرة «الصدِّيقة بنت الصدِّيق» وأنزل براءتها من فوق سبعة أرقعة - سماوات - اختلق المنافقون إفكاً جديداً، كانت «مارية» هذه المرة ضحيته، وراحوا يهمسون، عن صلةٍ مشبوهة للخصي «مابور» بمارية. ولما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ، استدعى «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه وأمره بأمره.

وقد أخرج البزار في «كشف الأستار»، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» عن علي رضي الله عنه قال: (كُنْتُ على «مارية أم إبراهيم) في قبطي ابن عم لها، كان يزورها ويختلف إليها، فقال لي رسول الله ﷺ: (خذ هذا السيف فانطلق به، فإن وجدته عندها فاقتله)، قال: قلت: يا رسول الله! أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكَّة المحمَّاة، لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟، قال: (بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب). فأقبلتُ متوشِّحاً السيف، فوجدتُه عندها، فاخترطت السيف، فلما رآني أقبلتُ نحوه، عرف أني أريده، فأتى نخلةً فرقيها، ثم رمى بنفسه على قفاه، ثم شَغَرَ برجله - أي: رفعها -، فإذا هو أجبُّ أمسح - أي:

مقطوع الذكر - ما له قليل ولا كثير، فغمدتُ السيف، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: (الحمد الله الذي يصرف عنَّا أهل البيت)[1].

وروى المحب الطبري في السمط الثمين، [عن محمد بن عمر، حدثنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت «أم إبراهيم» سُرِّيَّة النبي ﷺ في مشربتها، وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والحطب، فقال الناس في ذلك: عِلْجٌ يدخل على عِلْجَة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأرسل سيدنا «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه فوجده على نخلة، فلما أخذ السيف، وقع في نفسه، فألقى الكساء الذي كان عليه، وتكشف، فإذا هو مجبوب، فرجع «علي» رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إذا أمرت أحدنا بالأمر ثم رأى غير ذلك، أيراجعك؟ قال: (نعم)، فأخبره بما رأى من القبطي، قال: وولدت مارية «إبراهيم» فجاء «جبريل» عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن رسول الله ﷺ إلى ذلك][2].

وهكذا دحض الله كيد المفترين ورده إلى نحورهم، وظهرت حقيقة «مارية» كأعفَّ ما تكون وأنقى وأطهر، وعُلِمَتْ خليقة المنافقين، فإنهم إذا تحدثوا كانوا كاذبين، والكذب إحدى أماراتهم.

إبراهيم أعتق أمه: لما وضعت «مارية» مولودها، باتت في قمة السعادة حيث أفاض قدومه عليها الخير الكثير، فقد جاء في الحديث الذي رواه المحب الطبري في سمطه الثمين، عن أبي سبرة، عن الحسين بن عبد الله ابن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لما ولدت «أم إبراهيم» قال ﷺ: أعتقها ولدها).

وروي أيضاً عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس، حدثني أبي عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن

(1) كشف الأستار (2/ 188-189)، الحلية(3/ 177-178).
(2) السمط الثمين (236-237).

النبي ﷺ، قال: (أيما أمة ولدت من سيدها فإنها حرة إذا مات، إلا أن يعتقها قبل موته)[1].

ولما جاء البشير إلى رسول الله ﷺ بولادة «إبراهيم» وهب لمبشره مملوكاً، ثم دخل على «مارية» ليطمئن عليها، ثم حمل ابنه بين ذراعيه وراح يضمه إلى صدره، ويملأ عينيه من حسنه وبهائه، ثم طاف به على أزواجه يريهن إياه، فزاد ذلك من غيرتهن، لأن نبي الله ﷺ ازداد تعلقاً بمارية بعد أن جاءته بالولد دونهن.

تسمية ابن مارية: أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ثابت البناني عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي، إبراهيم)، ثم دفعه إلى أم سَيْف، امرأة قَيْن - حَدَّاد - يقال له: أبو سيف، فانطلق يأتيه واتَّبعتُه، فانتهينا إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت: يا أبا سيف! أمْسِكْ، جاء رسول الله ﷺ فأمسَك، فدعا النبي ﷺ بالصبي، فضمَّه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول)[2]. ولما أتم الستين من عمره نزل به المرض، فأرسلت «مارية إلى رسول الله ﷺ من يخبره بمرضه، فأتاها على عجل، وحين رآه علم أنه يجود بأنفاسه، وأمه وخالته «سيرين» تصرخان وتبكيان، فلا ينهاهما رسول الله ﷺ، قال أنس: (لقد رأيته وهو يكيد بنَفْسه - أي يجود بها - بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال: (تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يَرْضى ربُّنا، والله! يا إبراهيم! إنا بك لمحزونون)[3]. وهكذا تلاشت الفرحة، وخيَّم الحزن على مَشْربةِ «مارية»، ولكن لم يكن بوسعها ولا بوسع نبي الرحمة إنقاذ ولدهما «إبراهيم»، فقد وافاه أجله المحتوم.

وأخرج المحب الطبري في «السمط الثمين» عن «سيرين» أخت «مارية»

(1) السمط الثمين (237).
(2) صحيح مسلم برقم (62/ 2915).
(3) مسلم برقم (62/ 2315).

قالت: رأيت رسول الله ﷺ لما حُضِر «إبراهيم» وأنا أصيح وأختي، ما ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح، وغسله «الفضل بن عباس»، ورسول الله ﷺ جالساً، ثم رأيته على شفير القبر ومعه العباس إلى جنبه، ونزل في حفرته «الفضل» و«أسامة بن زيد» فكسفت الشمس يومئذ، فقال الناس: لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: (إنها لا تخسف لموت أحد ولا لحياته)، ورأى رسول الله ﷺ فرجَةً في اللَّبِن فأمر بها تُسَدّ، فقيل للنبي ﷺ، فقال: (أما إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تُقِرُّ عين الحي، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله تعالى أن يتقنه).

وتابع المحب الطبري في سمطه: [أخبرنا يحيى بن عبيد الدمشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن عطاء، قال: أُمِرَت أم ولد النبي ﷺ «مارية» أن تعتد بثلاث حيض][1]. أي: بعد وفاة النبي ﷺ ولاذت «مارية» بالصبر، واستعانت بالصلاة، وفوضت أمرها لمن أعطى ثم أخذ، ولم تلبث حتى دُهِيَتْ بمصيبة أجَلَّ وأفدح، وأي مصيبة أفدح من رحيل الحبيب الأعظم ﷺ؟ وكان لها في رحيله، وهو راضٍ عنها، أكبر العزاء والسلوان - وبقيت وفية لعهد الله، مخلصة لرسول الله ﷺ بعد وفاته كما كانت في حياته. ولما جاء «الصديق» رضي الله عنه عرف لها مكانتها من رسول الله ﷺ، ورعى شؤونها، وتولى الإنفاق عليها حتى لقي وجه ربه.

وفاتها: أما «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه فما حاد عن سبيله، وظل ينفق عليها إلى أن وافاها أجلها، ثم نادى مناديه يدعو الناس للصلاة عليها، فوافاه كبار المهاجرين والأنصار، وصلى عليها «عمر» رضي الله عنه ثم شيعت إلى مثواها الأخير، حيث ووريت في ثرى البقيع إلى جانب أمهات المؤمنين. رضي الله عنهن. ، وولدها «إبراهيم».

رحمهما الله تعالى.

(1) السمط الثمين (238).

السيدة مارية مولاة حجير رضي الله عنها

نسبها: اسمها «مارية» أو «ماوية» ، هي مولاة «حجير بن أبي إهاب» التميمي، حليف بني نوفل، حبس في بيتها «خبيب بن عدي» .

حديثها عن خبيب: أخرج أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب [عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني ابن أبي نجيح أنه حدث عن «مارية» مولاة حجير، وكان «خبيب بن عدي» حبس في بيتها، قال: فكانت تحدث بعد ما أسلمت، قالت: والله، إنه لمحبوس في بيتي مغلق دونه، إذِ اطَّلعت من خلل الباب، وفي يده قطف عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في الأرض حبة عنب تؤكل، فلما حضره القتل قال: يا مارية! التمسي لي حديدة أتطهر بها، قالت: فأعطيت الموسى غلاماً مِنَّا وأمرته أن يأتيه بها، فدخل بها عليه، قالت: فوالله ما هو إلَّا أن ولَّى داخلاً عليه، فقلت: أصاب الرجل ثأره، يقتل هذا الغلام بهذه الحديدة ليكون رجل برجل، فلما انتهى إليه الغلام أخذ الحديدة من يده، وقال: لعمري ما خافت أمك غدري حين أرسلتك إليَّ بهذه الحديدة، ثم خلَّى سبيله. هكذا قال: قالت مارية][1]

ولما أرادوا قتله، أخذوه إلى «التَّنْعيم»، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ، قال لهم«خبيب»: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أنا ما بي جزع لطوَّلتها، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً ولا تذر منهم أحداً، ثم أنشد:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شِقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإلَه وإيشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزَّع

ثم قام إليه «أبو سروعة» أحد أبناء «الحارث بن عامر» الذي كان «خبيب»

(1) الاستيعاب (4/ 1911).

قد قتله في بدر فقتله. وكان «خبيب» هو سَنَّ الركعتين لكل مسلم يقتل صبراً، وكان شهود «مارية» قتله سبباً إلى إسلامها. رحمها الله تعالى.

السيدة محياة بنت خالد رضي الله عنها

نسبها: اسمها «محياة»، وأبوها «خالد بن سنان» عليه السلام قال ابن الأثير في «أسد الغابة»:

[أخبرنا أبو موسى إجازة، أخبرنا أبو الرجاء أحمد بن محمد بن عبد العزيز القارىء، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الصفار، أخبرنا أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الجرجاني، حدثني محمد بن عمير الرازي الحافظ، حدثني عمرو بن إسحاق بن العلاء، حدثني جدي إبراهيم بن العلاء، حدثنا أبو محمد القرشي الهاشمي، حدثنا هشام بن عروة، عن ابن عُمَارة، عن أبيه عمارة بن حزن ابن شيطان بقصة«خالد بن سنان»، قال: فلما بعث الله محمداً ﷺ أتته «محيَّاة بنت خالد»، فانتسبت له، فبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وقال: (ابنة أخي نبي ضيعه قومه)[1]، أخرجها أبو موسى. رحمها الله تعالى.

السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

هل أتاك حديث أكرم عجوز في الأرض أصهاراً؟ وهل تحب أن تسمع عنها أخباراً؟ إذاً، فاعلم أنها «هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة» تزوجها «الحارث بن حزن بن بجير»، فولدت له عدداً من البنات، ذُكِرَ بعضهن في حديث الأخوات مؤمنات، أما أصهارها فهم: رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق، وحمزة والعباس ابنا عبد المطلب، وجعفر

(1) أسد الغابة (5/ 395).

وعلي ابنا أبي طالب، وشداد بن الهاد، وقد ذكرت كتب السير أن رسول الله ﷺ تزوج «ميمونة بنت الحارث» وأما أخواتها فهن: «أم الفضل لبابة الكبرى» زوج «العباس بن عبد المطلب»، و «لبابة الصغرى» زوج «الوليد ابن المغيرة المخزومي» و«عصماء» زوج «أبي بن خلف الجمحي» و «عزة» زوج «زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي» فهؤلاء جميعاً أخواتها لأبيها وأمها.

وأما أخواتها لأمها فهن: «أسماء بنت عميس» زوج «جعفر بن أبي طالب» استشهد في مؤتة، فخلفه عليها «أبو بكر الصديق»، فلما مات خلفه عليها «علي بن أبي طالب» رضي الله عنهم. و «سلمى بنت عميس» زوج «حمزة بن عبد المطلب» فلما قتل يوم أحد، خلفه عليها «شداد بن أسامة بن الهاد الليثي». و«سلامة بنت عميس» زوج «عبد الله بن كعب بن منبه الخثعمي». و«زينب بنت خزيمة» فيها قولان ذكرهما «أبو عمر بن عبد البر» في الاستيعاب[1]: أولهما أنها كانت تحت «عبد الله جحش»، فلما قتل عنها يوم أحد خلفه عليها رسول الله ﷺ سنة ثلاث، وثانيهما نقله عن أبي الحسن الجرجاني النسابة، قال: كانت «زينب بنت خزيمة» عند «الطفيل بن الحارث» ثم خلف عليها أخوه «عبيدة بنت الحارث» الذي مات إثر جراحة أصابته يوم بدر. والله أعلم.

فهل سمعت عن عجوز كان لها مثل هؤلاء الأصهار الأخيار؟.

خبر تزويجها قبل النبي ﷺ: اختلف أهل السير في زواجها قبل رسول الله ﷺ، فنقل أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: [عند أبي عبيدة: قال: كانت قبله عند «أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي» وقال: يقال: بل عند «سبرة بن أبي رهم».

وقال عبيد الله بن محمد بن عقيل: كانت «ميمونة» قبل النبي ﷺ عند

(1) الاستيعاب (4/ 1853).

«حويطب بن عبد العزى، وقال عقيل، عن ابن شهاب، كانت تحت أبي رهم بن عبد العزى، قال ابن شهاب: وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ.

قال قتادة: وكانت قبله عند «فروة بن عبد العزى بن أسد بن غَنْم بن دودان، هكذا قال قتادة، وهو خطأ، وقول ابن شهاب، الصواب، والله أعلم[1]. وقال الصالحي الدمشقي في كتابه «أزواج النبي ﷺ»: [وروى الإمام أحمد والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب «ميمونة بنت الحارث»، فجعلت أمرها إلى العباس، فزوجها النبي ﷺ.

وروى ابن أبي خيثمة عنه قال: (بعث رسول الله ﷺ «محمية بن جَزْءٍ ورجلين آخرين يخطبها وهو بمكة، فردت أمرها إلى أختها «أم الفضل»، فردت «أم الفضل» إلى «العباس»، فأنكحها رسول الله ﷺ)، وبذلك أصبحت أماً للمؤمنين، وكان اسمها «برة» فغيره النبي ﷺ إلى «ميمونة».

وروي أيضاً عنه: أن رسول الله ﷺ تزوج «ميمونة بنت الحارث» في عمرة القضاء، وأقام بمكة ثلاثاً، فأتاه «حويطب بن عبد العُزَّى - وأسلم بعد ذلك - في نفر من قريش في اليوم الثالث، فقالوا له: قد انقضى أجلك فاخرج عنها، فقال: (وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعاماً، فحضرتموه؟)، فقالوا: لا حاجة لنا بطعامك، فاخرج عنا. فخرج بميمونة بنت الحارث حتى أعرس بها بسَرِف][2].

ويطلق على «عمرة القضاء» أيضاً: «عمرة القضية» وكذلك «عمرة القصاص»، وقد أخرج السهيلي - رحمه الله تعالى - في «الروض الأُنُف» قال: «وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: 194] وهذه الآية فيها نزلت . . . وسميت «عمرة القضاء» لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً عليها، لا لأنه قضى العمرة التي صُدَّ عن البيت

(1) الاستيعاب (4/ 1917).
(2) الروض الأُنُف (4/ 76).

فيها، فإنها لم تَكُ فسدت بصدهم عن البيت، بل كانت عمرة تامة متقبلة][1].

وأخرج أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: «وذكر موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، قال: خرج رسول الله ﷺ من العام القابل - يعني من عام الحديبية - معتمراً في ذي القَعْدَة سنَة سبع، وهو الشهر الذي صَدَّه فيه المشركون عن المسجد الحرام، فلما بلغ موضعاً ذكره [2]، بعث «جعفر بن أبي طالب» بين يديه إلى «ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية» فخطبها عليه «جعفر» فجعلت أمرها إلى «العباس» فزوَّجها رسولَ الله ﷺ

وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى»: هي آخر امرأة تزوجها رسول الله ﷺ يعني ممن دخل بها [3].

قال أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب: اختلف الفقهاء وأهل السير في حال رسول الله ﷺ إذ عقد نكاحه مع «ميمونة»، ثم قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا جعفر بن بُرقان، قال: أخبرني ميمون بن مهران، قال: سألت صفية بنت شيبة، فقالت: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة، وبنى بها بسَرِفَ.

وروى ابن أبي خثيمة، عن ميمونة رضي الله عنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسَرِفَ.

وعن يزيد بن الأصم، وهو ابن أخي ميمونة، عن ميمونة، أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال وبنى بها حلالاً، وماتت بسَرِفَ، ودفناها في الظلة التي بنى بها فيها[4].

وأخرج البخاري في صحيحه: «حدثنا موسى بن إسماعيل: حدثنا

(1) المصدر السابق.
(2) اسم الموضع: يَأْجِجُ.
(3) الطبقات الكبرى (8/ 132).
(4) رواه الترمذي برقم (774).

وُهَيْبٌ، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسَرِفَ. وزاد ابن إسحاق، حدثني ابن أبي نجيح وأبان بن صالح، عن عطاء ومجاهد، عن ابن عباس، قال: تزوج النبي ﷺ ميمونة في عمرة القضاء»[1]. وروى الستة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم وذكر الصالحي الدمشقي في «أزواج النبي ﷺ»، عن الإمام أحمد، قال: «تزوج رسول الله ﷺ «ميمونة» وهو محرم»[2].

وأخرج الترمذي وحسَّنه، عن أبي رافع رضي الله عنه، قال: «تزوج رسول الله ﷺ «ميمونة» وهو حلال، وبنى بها وهو حلال، وأنا كنت الرسول بينهما»[3]. قال الفتح محقق كتاب «أزواح النبي ﷺ»: «وفي الجمع بينه - أي حديث أبي رافع - وبين حديث ابن عباس السابق أنقل لك بعض ما قاله علماؤنا في ذلك، قال ابن عبد البر في التمهيد «3/ 152 - 153»: والرواية أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال، متواترة عن ميمونة بعينها، وعن أبي رافع مولى النبي ﷺ، وعن سليمان بن يسار مولاها وعن يزيد بن الأصم، وهو ابن أختها، وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبد الرحمٰن وابن شهاب، وجمهور علماء المدينة: أن رسول الله ﷺ لم ينكح «ميمونة» إلَّا وهو حلال قبل أن يحرم.

وما أعلم أحداً من الصحابة روى أن رسول الله ﷺ نكح «ميمونة» وهو محرم إلَّا عبد الله بن عباس، ورواية من ذكرنا معارضة لروايته، والقلب إلى رواية الجماعة أميل لأن الواحد أقرب إلى الغلط، وأكثر أحوال حديث ابن عباس أن يجعل متعارضاً مع رواية من ذكرنا، فإذا كان كذلك سقط الاحتجاج بجميعها، ووجب طلب الدليل على هذه المسألة من غيرها،

(1) البخاري (4011)
(2) أزواج النبي ﷺ (202).
(3) الترمذي (841).

فوجدنا «عثمان بن عفان» رضي الله عنه قد روى عن النبي ﷺ: أنه نهى عن نكاح المحرم، وقال: (لا يَنْكِحُ المحرمُ ولا يُنْكَحُ)، فوجب المصير إلى هذه الرواية التي لا معارض لها، لأنه يستحيل أن ينهى عن شيء ويفعلَه، مع عمل الخلفاء الراشدين لها، وهم: عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهو قول ابن عمر وأكثر أهل المدينة» انتهى.

وقال ابن القيم - رحمه الله في زاد المعاد «1/ 113» بعد أن ذكر حديث ابن عباس: ووهم رضي الله عنه فإن السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة، وهو أبو رافع . . . . وابن عباس إذ ذاك له نحو العشر سنين أو فوقها، وكان غائباً عن القصة لم يحضرها.

وقال الحافظ في الفتح «9/ 70» عند شرح حديث ابن عباس «5114»، ويجمع بينه وبين حديث ابن عباس، يحمل حديث ابن عباس على أنه من خصائص النبي ﷺ ثم ساق قول ابن عبد البر ملخصاً.

قلت: - أي: الفتح - وأما الحكم الفقهي المترتب على ذلك: فقد ذهب الجمهور إلى عدم صحة زواج المحرم أو تزويجه، وبه قال الأئمة الشافعي ومالك وأحمد، وذهب أبو حنيفة إلى جواز ذلك. انظر المجموع «7/ 287- 288» والمغني «3/ 332»، ونيل الأوطار «5/ 14 - 15» انتهى.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير برجال ثقات عن الزهري - رحمه الله تعالى: (أن «ميمونة بنت الحارث» هي التي وهبت نفسها)[1] - أي: للنبي ﷺ.

شهادة النبي ﷺ لها ولأخواتها بالإيمان: روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (الأخوات مؤمنات: ميمونة - زوج النبي ﷺ- وأم الفضل، وسلمى - امرأة حمزة - وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن)[2].

---

(1) المعجم الكبير (23/ 421-422).

(2) النسائي (281).

روايتها للحديث الشريف: روت أم المؤمنين - ميمونة - رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ستة وسبعين حديثاً، منها ثلاثة عشر في الصحيحين، سبعة منها اتفق عليها الشيخان، وانفرد الإمام البخاري بواحد منها، والإمام مسلم بخمسة، وبقية الأحاديث منثورة في كتب الحديث. وقد روى الحديث عنها ابن أختها ابن عباس رضي الله عنهما ومولاه كريب، وسليمان بن يسار، وعطاء بن يسار، ومولاتها نُدْبَة، وسواهم.

ثناء أم المؤمنين المبرأة المطهرة عليها: بعد أن مضت السيدة - ميمونة - إلى لقاء ربها، قالت السيدة عائشة: (ذهبت، والله «ميمونة» أما إنها كانت من أتقانا لله، وأَوْصَلِنَا للرحم).

فهل في الضرائر بين النساء، من تقول مثل قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ضرتها؟ فإن لم تكن، فليأتين بالمعلمة الأولى، وليترسَّمْن خطواتها، ولينهلن من نبع هديها الرشيد الذي قبسته عن خير المرسلين.

تقاها رضي الله عنها: شرب أحد أقاربها الخمر، ثم دخل عليها، ورائحة الشراب تفوح منه، فانتهرته، ثم قالت له بغضب: والله لئن لم تخرج إلى المسلمين فيقام عليك الحَدُّ، لا تدخل عليَّ أبداً بعد هذا اليوم، وأمرته بالخروج فخرج.

إنه الإيمان الصحيح الذي ليس فيه مداهنة و لا محاباة لأحد أياً كان نسبه، ومهما علا منصبه، لقد كانت «ميمونة» رضي الله عنها إحدى المتخرجات النجيبات من المدرسة المحمدية التي قال مديرها: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

إن الإسلام دين الحياة، وبدونه فالناس موتى وإن رأيتهم يمشون فوق ظهر الأرض، وكفاه فضلاً وسمواً أن الله هو الذي رضيه ديناً لنا، فله الحمد والمنة والثناء الجميل.

وأخرج ابن سعد والحاكم عن يزيد بن الأصم، قال: تلقيت عائشة وهي مقبلة من مكة، أنا وابن طلحة بن عبيد الله - وهو ابن أختها - وقد كنا وقعنا

في حائط - أي: بستان - من حيطان المدينة، فأصبنا منه - أي: أخذوا من ثمره - فبلغها ذلك، فأقبلتْ على ابن أختها تلومه وتَعْزِله، ثم أقبلت عليَّ فوعظتني موعظة بليغة، ثم قالت:

أما علمت أن الله تبارك وتعالى ساقك حتى جعلك في بيت نبيه؟ ذهبت «ميمونة» ورمي بحبلك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم»[1].

وفاة «ميمونة» رضي الله عنها: توفيت «ميمونة» رضي الله عنها حيث بنى بها رسول الله ﷺ بسَرِفَ، ودفنت في نفس المكان حسب وصيتها، واختلف في سنة وفاتها، فقال محمد بن إسحاق: ماتت عام الحرة سنة ثلاث وستين، وقال أبو عمر في التمهيد: سنة ست وستين، وفي تاريخ خليفة بن خياط سنة إحدى وخمسين، ورجحه النَّوَوي في تهذيبه، وأبطل ما سواه، وقيل: سنة تسع وأربعين، والله أعلم.

وصلى عليها ابن عباس رضي الله عنهما ودخل قبرها هو ويزيد بن الأصم، وعبد الله ابن شداد بن الهادي، وهم بنو أخواتها، وعبيد الله الخولاني، وكان يتيماً في حجرها. وكان عمرها يوم وفاتها ثمانين سنة.

تردد ابن عباس عليها: وكان «عبد الله بن عباس» رضي الله عنهما يكثر التردد عليها ابتغاء التزود من هدي خير العباد، والتعرف على منهجه في العبادة، وربما كان يبيت عندها - فهي خالته كما لا يخفى، وخالة «خالد بن الوليد» أيضاً - رضي الله عنهم جميعاً.

وفي قصيدة لي نظمتها عن مناقب أمهات المؤمنين. رضي الله عنهن. أجمعين، خصصت «ميمونة» رضي الله عنها بهذه الأبيات:

لكنني لم أنس من أزواجه ميمونةً في غمرة الإحصاءِ

(1) الطبقات لابن سعد (8/ 138) والمستدرك (4/ 32).

تلك التي أُعْلِمْتُ عن أخواتها ... سلمى وأمِّ الفضل أو أسماءِ
لما رجعت إلى حديث المصطفى ... ووجدتها بين النساء اللائي
عُرِّمْن بالإيمان ليس بغيره ... أكرم به من شيمةٍ شماءِ!
ومن ابتغى خير المنى ألفى المنى ... قد جُمِّعت في هذه النعماءِ

رحمها الله تعالى.

السيدة نبعة الحبشية رضي الله عنها

كانت جارية«أم هانىء بنت أبي طالب» رضي الله عنها. وقد روى الكلبي، عن أبي صالح، عن أم هانىء بنت أبي طالب، في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول: ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبل الصبح أَهَبَّنا - أيقظنا - رسول الله ﷺ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: (يا أم هانىء! لقد صليتُ العشاء الآخرة كما رأيت، ثم جئت بيت المقدس فصليتُ فيه، ثم صليتُ صلاة الغداة معكم)، ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه، فكشف عن بطنه، وكأنه قبطية مطوية، فقلت له: يا نبي الله! لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك، قال: (والله لأحدثنهم)، قالت: فقلت لجارية لي حبشية، يقال لها: نبعة: - ويحك! اتبعي رسول الله ﷺ تسمَّعي ما يقول للناس، وما يقولون له، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا، وقالوا: ما آية ذلك؟ يا محمد!... وذكر الحديث[1].

رحمها الله تعالى.

(1) أسد الغابة (5/ 406).